

الذين استترهم الشيطان

قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾
[آل عمران : ١٥٥] .

قد تكون الإشارة في هذه الآية خاصة بالرماة الذين جال في نفوسهم الطمع في الغنيمة كما جال فيها أن رسول الله ﷺ سيحرمهم أنصبتهم ، فكان هذا هو الذي كسبوه ، وهو الذي استترهم الشيطان به ..

ولكنها في عمومها تصوير لحالة النفس البشرية حين ترتكب الخطيئة فتفقد ثقتها في قوتها ، ويضعف بالله ارتباطها ، ويختل توازنها وتماسكها ، وتصبح عرضة للوساوس والهواجس ، بسبب تخلخل صلتها بالله وثقتها من رضاه ! وعندئذ يجد الشيطان طريقه إلى هذه النفس ، فيقودها إلى الزلة بعد الزلة ، وهى بعيدة عن الحمى الآمن ، والركن الركين .

ومن هنا كان الاستغفار من الذنب هو أول ماتوجه به الرئيون الذين قاتلوا مع النبيين في مواجهة الأعداء ، الاستغفار الذي يردهم إلى الله ، ويقوى صلتهم به ، ويعفى قلوبهم من الأرجحة ، ويطرد عنها الوسواس ، ويسد الثغرة التي يدخل منها الشيطان ، ثغرة الانقطاع عن الله ، والبعد عن حماه ، هذه الثغرة التي يدخل منها فيزل أقدامهم مرة ومرة ، حتى ينقطع بهم في التيه ، بعيداً بعيداً عن الحمى الذي لا ينالهم فيه !

ويحدثهم الله أن رحمته أدر كتهم ، فلم يدع الشيطان ينقطع بهم ، فعفا عنهم .. ويعرفهم بنفسه سبحانه فهو غفور حلیم ، لا يطرد الخطاة ولا يعجل عليهم ، متى علم من نفوسهم التطلع إليه ، والاتصال به ، ولم يعلم منها التمرد والتفلت والإباق !